

السمات الزخرفية في العصر العباسي

م.م. وسام جاسم حسين بنانه

الفصل الأول - مشكلة البحث:

الزخرفة من الفنون الاسلامية العريقة التي لها أثرها الواضح في التزيين على الخامات كافة، استخداماتها متعددة ومتنوعة على مختلف المواد وأغراضها تزيينية، فهي تستخدم في تزيين واجهات الأبنية والمساجد وتدخل في تزيين الحيطان الداخلية والجدران الخارجية وفي الاشرطة التي تحيط ببعض الابنية أو الاشكال أو المواضيع الزخرفية نفسها، وتستخدم ايضاً في تزيين التحف والمقتنيات وما الى ذلك من استخدامات متنوعة، والزخارف العربية الاسلامية لها خصائصها ومميزاتها التي اعطتها طابعها الخاص الذي يميزها عن غيرها من الزخارف، وقد اختلفت هذه الزخارف باختلاف أنواعها والخامات التي استخدمت فيها والعصر الذي وجدت فيه.

ولما كانت تلك الزخارف هي الأصل للزخارف المعروفة في الوقت الحاضر كان لازماً على المختصين في هذا المجال معرفة تلك الأصول والتطورات التي أسفر عنها تقادم الزمن في أشكال تلك المفردات الزخرفية، لاسيما مع قلة الدراسات التي تختص بهذا المجال بشكل واضح وصريح لابرار الخصائص وانما كانت تذكر بصورة غير مباشرة وغير مركزة في بعض الكتب دون الاشارة اليها كصفات او سمات تميزت بها زخارف العصر العباسي، ومن هنا تتجلى لنا مشكلة البحث والتي تتلخص بالسؤال التالي:-

● ما هي السمات التي تميزت واختصت بها الزخارف في العصر العباسي.

أهمية البحث والحاجة اليه:

اتسم العصر العباسي في زخارفه بخصائص ومميزات من خلال ما عرفناه من الشواهد الباقية حتى اليوم مثل المدرسة المستنصرية والقصر العباسي وبعض الآثار المحفوظة في المتاحف والتي تعد عينات يمكن الاعتماد عليها والمقارنة بين المفردات والزخارف الموجودة عليها لمعرفة خصائصها ومميزاتها، ولاظهار براعة الفنان المسلم في استخدام تلك المفردات الزخرفية في وحدات متعددة وامكان مختلفة، إذ تكمن الحاجة للبحث في اثراء الجانب الجانب الوصفي والتحليلي الذي يبين أهم السمات التي اتصفت بها الزخارف في العصر العباسي، فضلاً عن المساعدة التي يقدمها البحث في التعرف على الزخارف العباسية وتمييزها عن غيرها من الزخارف.

حدود البحث:

يتحدد البحث في الزخارف النباتية والهندسية والخطية في العصر العباسي بالعراق للمدة من سنة (١٤٥ الى سنة ٦٥٦هـ) (٧٥٠-١٢٥٨م).

أهداف البحث:

يهدف البحث الى كشف السمات الشكلية الاساسية للزخارف الهندسية والنباتية والخطية في العصر العباسي.

تحديد المصطلحات:

نظراً لما ورد من مصطلحات فنية في هذا البحث، فان بعض المؤلفين والباحثين قاموا بتعريف بعضاً منها وبعضهم ذكرها مستوعبة لأكثر من مجال، وفي ضوء توجه البحث فان الباحث سيذكر بعضاً منها وبالشكل الذي يعرفها بشكل تخصصي وهي:

- ١- **الزخرفة:** يذكرها الرازي بانها (الذهب، ثم يشبّه به كل ممّوه مزور، والزخرف المزين) (ص٢٧٠)، ويذكرها (كمال عيد) بأنها فن التزيين والحلية، وهدفها تكوين عناصر فنية تعبيرية وتجريدية (ص٢٣١، ١٦١).
- ٢- **الزخارف الخطية:** وتعني استخدام الخط الكوفي أو الثلث الكبير القياس المعروف ب(الجلي) أو (الجليل) في تزيين الجدران الخارجية كأقاريز مشغولة الارضيات اما بزخارف نباتية غصنية أو بطريقة الوحدة الهندسية المكررة (ص١٠٤).

التعريف الإجرائي:

يتبنى الباحث في تعريف الزخرفة رأي (كمال عيد) الذي يعرف الزخرفة بأنها ((فن التزيين والحلية وهدفها تكوين عناصر فنية تعبيرية وتجريدية)).

أما الزخارف الخطية فيعرفها الباحث بأنها تلك الخطوط العربية التي تؤلف من جراء تراكبتها مع

الزخارف النباتية أو الهندسية أو تفرع هذه الزخارف منها نسيجاً زخرفياً مختلفاً يلبي وظائف جمالية.

الفصل الثاني (الاطار النظري والدراسات السابقة)

(المبحث الأول)

الفنون الزخرفية (تمهيد تاريخي)

الزخرفة من الفنون التي لها أصولاً عميقة في التاريخ ومتوغة فيه، يظهر ذلك من ما وصلنا من استخدامات لهذا الفن على مرّ العصور من خلال الآثار الباقية على مختلف الخامات لا سيما تلك المصنوعة من الحجر أو الباقية كشواهد أثرية أو التي عثر عليها من خلال التنقيبات، إذ إن بعضها يرجع إلى آلاف السنين لحضارات سومر وبابل وأشور، وقد استلهم الفنان العراقي مفردات زخارفه من الطبيعة التي كان يعيشها مثل الحيوانات والنباتات وبعض الأشكال الهندسية البسيطة ((ومن تلك المفردات الأسد المجنح ذو الرأس الأدمي ورأس الحصان وزهرة البشنين الآشورية (شكل ١) وزهرة الروزيت (شكل ٢) والنخيلة الآشورية (شكل ٣) وبعض الأشكال المحورة التي استخدمت في تزيين تيجان الأعمدة (شكل ٤)، وقد استعمل البابليون والآشوريون الزخارف لتزيين المشيدات من العمائر)) (١٤ ص ٢٧).

أما في مدينة الحضر فقد كانت الزخرفة التي تزين واجهات الأواوين عبارة عن تماثيل منحوتة على الأقواس تمثل مجموعة من الآلهة والأشكال الأسطورية وأشكال هندسية ونباتية وحيوانية ومنها ورقة الأكانتس والحبل المبروم (شكل ٥) وقد اقتبس الفنان الحضري بعض عناصر الزخرفة من العمارة الآشورية وبعضها من ابتكاراته الخاصة، وقد استخدمت رؤوس الحيوانات بدلاً من الثيران المجنحة التي كانت تستخدم في تزيين القصور والمعابد الآشورية، وقد طور المعمار في الحضر الأساليب التي اقتبسها وأضاف عليها بحيث ظهر أسلوب جديد أطلق عليه (الفن الهلنستي) (١٣ ص ١٨).

وقد استخدم العراقيون الأوائل الزخارف أساساً بشكل بسيط في تزيين أسلحتهم وعمائرهم من خلال النحت على جدران ابنياتهم كأفاريز أو تيجان لأعمدة تلك العمائر أو من خلال التحزيزات أو الخطوط المستقيمة أو المنحنية التي كانت تستخدم في تزيين الأواني أو بعض المنحوتات أو ما يروونه ضرورياً لاضفاء الجانب الجمالي عليه.

الزخرفة الإسلامية:

بعد استمرار النشاط الزخرفي المتطور تدريجياً والمستند إلى الأساليب والطرق التي كانت تستخدم في تصميم المواد المختلفة من عمائر ومنسوجات ومعادن وزجاجيات وما إلى ذلك من الخامات التي كانت تزين بمختلف المفردات، أتى الدين الإسلامي ليكون له دوراً واضحاً في تحديد شخصية الزخرفة عن طريق حث المسلمين على استخدام أشكالاً جديدة تلبي الحاجات التزيينية للعمائر والأسلحة والمقتنيات المختلفة الأمر الذي جعل الفنان المسلم ينصرف إلى اتقان الزخارف البعيدة عن تجسيد الطبيعة فاقتبسوا من الفنون القديمة العناصر الزخرفية التي تلائم الدين الإسلامي وتتناسب مع ذوقهم الفني وطبعوها بطابعهم الخاص وأخرجوها إخراجاً فنياً جديداً، ثم ابتكروا عناصر زخرفية جديدة حتى أصبح للفن الزخرفي الإسلامي خصائص تميزه عن غيره، والجدير بالذكر أن الزخارف استعملت في العمارة الإسلامية الأولى كمظهر من مظاهر العناية بها وتجميلها، ويتضح ذلك من عناية المسلمين بالمسجد النبوي بالمدينة وحرصهم على تزيينه منذ العصر الراشدي، وجاء العصر الأموي فشهد ميلاً كبيراً نحو زخرفة العمائر بشتى أنواعها مثل قبة الصخرة بالقدس التي بنيت سنة (٧٢ هـ).

أما في العصر العباسي فقد استمر الاتجاه السابق في زخرفة العمائر المختلفة، إذ كانت مدينة سامراء التي بنيت سنة (٢٢١ هـ) وبقايا ابنياتها المختلفة ما تزال شاخصة إلى الآن وهي مزدانة بزخارف جصية وإفارة بعضها ذات عناصر نباتية وهندسية محفورة، كما أظهرت نتائج التنقيبات في هذه العاصمة العباسية وجود زخارف من الرخام والفسيفساء وقطع القراميد (القاشاني) (٣ ص ٨٩)، حتى يبدو كأن ((الأهمية الأساسية في المنشآت الإسلامية تقوم على الزخرفة)) (١١ ص ٢٦٦).

نستنتج مما تقدم أن الدين الإسلامي قد حدد الزخرفة والزماها الابتعاد عن ادخال الصور والرسوم الأدمية كمفردات تدخل ضمن التكوينات الزخرفية.

(المبحث الثاني)

أنواع الزخارف الاسلامية في العصر العباسي

ساهمت بغداد بقسط كبير في تطوير الزخارف والتقن في تنفيذها على مختلف الخامات، وقد وصلت الينا امثلة بديعة منها ما تزال قائمة الى الآن، وتتمثل تلك الزخارف بـ:

١- الزخارف الهندسية:

تعد الزخارف الهندسية من الأنواع المهمة ذلك لأنها تحتل الصدارة بين الزخارف لاسيما زخارف العصر العباسي والمدرسة المستنصرية، إذ انها استخدمت أكثر من بقية الأنواع بشكل يدركه المتلقي بوضوح، إذ تعتمد الزخارف الهندسية في بنائها على الاشكال الهندسية المعروفة كالمربع والدائرة وتوصيلات الخطوط المستقيمة بين نقاط التقاطع لهذه الاشكال، فيتراكب مربعين أو تقسيم أقطار الدائرة الواحدة والتوصيل بينها بالخطوط من نقاط معينة تظهر لنا نجوم متعددة الأضلاع منها ثمانية وذات عشرة رؤوس واثنى عشر رأساً أو أكثر، وتنتج من امتداد اضلاع المربعات وتقاطعها مع بعضها أشكالاً مضلعة مختلفة منتظمة أو غير منتظمة فتتكون منها وحدة زخرفية هندسية، وعن طريق تكرار هذه الوحدة بالتجاور الافقي والعمودي تنتج لنا أشكال نجمية جديدة ومتعددة الرؤوس منها رباعية وخماسية وسداسية وهذا يعتمد على الشكل الهندسي في الوحدة الاساسية، ويرجع الفضل بابتكار أشكال زخرفية هندسية جديدة نجمية أو غير نجمية في العصر العباسي الى دراية الفنان المسلم بعلم الهندسة الذي بدأت بواذر ازدهاره في العصر العباسي فأثرت بدورها بشكل كبير على نوعية التصاميم الزخرفية المستخدمة في ذلك العصر من خلال ظهور أشكال زخرفية جديدة، وان ابرز ما تمتاز به الزخارف الهندسية هو تنوع الاطباق النجمية الناتجة عن تكرار الوحدة الزخرفية الاساسية التي تنتج فيما بينها نجوم ذات رؤوس متعددة منها الاشكال المضلعة الرباعية والخماسية والسداسية وغيرها، إذ انها تدل على التطور الكبير الذي طرأ على هذا النوع من الزخرفة الاسلامية ونضوجها في العصر العباسي (ص٩٤)، ومن مميزات هذا النوع من الزخرفة هو قابليته على التداخل مع الزخارف النباتية حيث ان الفراغات التي تتخلل النجمات الهندسية والمضلعات المختلفة الاشكال تملأ بزخارف نباتية كبيرة في الحجم أو دقيقة ويتجلى ذلك في سقوف الأروقة والحنيات والنوافذ في القصر العباسي، إذ ان الاشكال الهندسية المتجمعة بهيأة طبق نجمي وأشكال أخرى قريبة الشبه منه قد زخرفت بزخارف نباتية منها خشنة واضحة المعالم وأخرى دقيقة (ص١٥) كما في (شكل ٩).

٢- الزخارف النباتية:

توضح هذه التسمية لغير المتخصصين بشكل لا يقبل الشك بان هذا النوع من الزخرفة قوامه عناصر نباتية منقولة عن الطبيعة أو مشابهة لها وهي كذلك بالفعل، إذ ان هذه الزخارف كانت في بداياتها تحاكي الطبيعة بشكل مباشر من خلال تقليد عناصر طبيعية وادخالها في انشاءات زخرفية ومن تلك العناصر ورقة العنب متعددة الفصوص وعناقيد العنب وكيزان الصنوبر وسعف النخيل التي تعرف بـ(البالمت) وأغصان النباتات وبعض أشكال الازهار البسيطة وهذه الاخيرة لها نوع من الزخرفة يطلق عليها (الزخارف الزهرية) وذلك لسيادة عنصر شكل الزهرة على الانشاء الزخرفي وانتشار هذا العنصر بشكل واضح على الانشاء بشكل عام.

ويرجع استخدام الزخارف النباتية الى آلاف السنين منذ حضارة سومر وآشور وبابل واستمر هذا الاستخدام بعد ظهور الاسلام، والسبب في استخدام هذا النوع هو استلهم الفنان عناصر زخارفه من المحيط الذي يعيش فيه، وبانتشار النباتات الجميلة وتعدد انواعها وكثرة عناصرها كان طبيعياً ان يستمد الفنان من تلك العناصر في تكوين موضوعات وانشاءات زخرفية، وتطورت تلك الاشكال بمرور الزمن بشكل يمكنها من الارتباط مع غيرها من الزخارف في وحدة متناسقة.

استعملت العناصر النباتية المختلفة في الزخارف البغدادية إلا انه يمكننا تتبع هذه الزخارف في سامراء، ومن أمثلة هذه العناصر العنب بأوراقه وعناقيده (شكل ٦) وسعف النخيل بأنواعه المفصصة والبسيطة وأنصافها وأشكالها المركبة (ص١٥٥)، وقد استخدمت الزخارف النباتية احياناً في مساحات مخصصة لها إلا ان معظم الزخارف النباتية نجدها تملأ بواطن المضلعات الهندسية والاشرطة الزخرفية وكذلك استخدمت بين الكتابات، إذ نراها ممتدة في الفراغات بين الحروف على شكل أغصان مورقة متموجة مُشكِّلة بذلك مهادر رائعة للكتابات (شكل ٧)، ومن مميزات الزخارف النباتية خضوعها لظاهرة النمو وسيادة مبدأ التناظر والتشابه والتقابل في الوحدات الزخرفية فنجد ان الشكل الزخرفي ينقسم الى نصفين متناظرين تماماً أو أربعة وحدات زخرفية متناظرة ومتشابهة (ص٩٤، ٩٦) كما في (شكل ٨).

٣- الزخارف الخطية:

تعد الكتابة ذات طابع وظيفي بحث وذلك باستخدامها لايصال المعلومات للآخرين عن طريق قراءتها، وقد جاء الخط ليحسن من مقروئية المعلومات المكتوبة ان كانت آيات قرآنية أو رسائل أو عقود مبيعات ولزيادة جمالية الكتابة وجعلها تسر القارئ وتوضح معاني الكلمات بعدم الالتباس فيها، وفي عصر صدر الاسلام جاءت جميع التطبيقات الخطية خالية من التزيين، وكانت تقتصر الى المظهر الزخرفي وتجسدت هذه الحقيقة في المصاحف التي كتبت في العصر الراشدي، إذ كان الصحابة والتابعون يتخرجون من ادخال اي شئ على القراءان الكريم (١١ ص ١٠٧) وبعد ادخال حركات الاعراب والتزيين (الاعجام) الى الخط وانتقال مركز الخلافة من بلاد الشام الى بغداد في العصر العباسي بدأت بوادر التطور تظهر على الخط العربي من خلال تنوع الخطوط وتعدد اشكالها فأصبح الخط العربي يتسم بقبالية على أداء وظيفتين الأولى قرائية والثانية جمالية تزيينية من خلال استخداماته المتنوعة في كتابة عناوين السور القرآنية وزخرفتها وتزيين واجهات مداخل بعض الابنية في العصر العباسي ومن امثلتها المدرسة المستنصرية كما في (الشكل ٧).

اشتهر الفن الاسلامي في العصر العباسي باستعمال الكتابات الزخرفية، فهي الى جانب وظيفتها كوسيلة للتعريف بالبناء أو تسجيل الأوقاف أو ذكر العبارات الدعائية أو الآيات القرآنية الكريمة استعملت كعنصر زخرفي تزييني عن طريق تنوع الخطوط والحروف التي اتخذت اشكالا زخرفية جميلة، وقد وصلنا نوعان من الخط العربي وهما: الخط الكوفي وخط الثلث، وعلى الرغم من ان خط الثلث لم يتخذ طابعاً زخرفياً واضحاً الا انه ظهر في كثير من الاحيان على مهاد من زخارف نباتية كانت تملأ بأغصانها وفروعها وأوراقها خلفية الكتابة (٢ ص ١٥٦)، فجد على واجهة مدخل المدرسة المستنصرية عشرة أسطر أفقية تحمل كتابة تتضمن تعريفاً بالبنية وأهدافها واسم مؤسسها (المستنصر بالله) وألقابه وتاريخ بنائها في سنة (٦٣٠ هـ) وهذه الكتابة تظهر فوق مهاد من زخارف نباتية قوامها أغصان تخرج من تفرعات وأوراق أو سعف نخيل نصفية بحيث تمتد بين الكلمات والحروف بشكل متموج يجعلها تنساب فتملاً الفراغات الموجودة، إذ تمثل هذه النماذج قمة ما وصل اليه الفنان العربي في تلك الفترة (شكل ٧) (٣ ص ٩٦).

٤- الأرابيسك:

وهي نوع من الزخرفة ابتكره الفنان العربي لغرض تلبية احتياجاته، إذ تعد من أهم المظاهر الزخرفية في العصر العباسي والتي لاتزال تستخدم حتى اليوم.

إن لب الزخرفة كامن في طيات ما يسميه علماء الآثار بـ(الأرابيسك) الذي أسماه بشر فارس اجتهداً بـ(الرقش)، (ومن الممكن ان تتبين في الرقش عنصرين ثابتين وهما تأويل النبات ولا سيما الورقة والساق، والثاني استغلال الخطوط استغلالاً يجريه التصور) (٩ ص ١٤) وعلى الرغم ان الفنان المسلم لم يكن البادئ باستخدام الاشكال النباتية المحورة في الأعمال الزخرفية إلا انه كان الاول في ابتكار طريقة صياغتها وترتيبها وفق قوانين التقابل والتوازن والاشكال الشعاعية، (ويعد ما بقي من آثار العصر العباسي الأول المنحوتة على الحجر أو الجص من أكثر الموضوعات أهمية، إذ توضح تلك الزخارف نشأة أشكال التوريق في الزخرفة الاسلامية) (٥ ص ٩١)، إذ عثر على قطع قديمة محلاة بورق العنب وعناقيد وغيرها والتي كانت تزين الحنيات أو الطاقات الموجودة في جدران مساكن سامراء والذي يعتقد انه كان نقلاً عن بغداد (١٠ ص ٣٩)، ومن ناحية أخرى فان الفنان المسلم قد عول على الظل والضوء في انتاج الزخارف المنفذة على الجص إذ ان للضوء والظل أثراً واضحاً يضيف على زخرفة الارابيسك جمالاً فنياً رائعاً (١٢ ص ٢٢).

وان زخرفة الارابيسك اخذت تنمو وتتطور حتى وصلت الى ذروة نضوجها في زخرفة العماير والتحف المختلفة سواء كانت من الخشب أو المعادن أو الخزف وكذلك في تزيين بعض صفحات الكتب.

الدراسات السابقة

عني الكثير من الباحثين بدراسة الزخارف العربية الاسلامية، لاسيما تلك التي وصلتنا من بقايا العصر العباسي، ومن اهم تلك البحوث حسب اطاع الباحث ما يلي:

١-دراسة (حمودي) (زخارف الابنية البغدادية في العصر العباسي) بحث منشور ١٩٧٦م، إذ استهدفت الدراسة وصف الزخارف المنفذة بالأجر على أبنية بغداد في العصر العباسي وبيان قيمتها الفنية والجمالية، وقد استخدم الباحث الطريقة الوصفية لبيان استخدامات الزخارف الهندسية والنباتية والكتابية على عمائر بغداد المتمثلة بعينة الباحث في المدرسة المستنصرية والقصر العباسي.

وتوصل البحث الى ان التراث الزخرفي البغدادي الذي احتفظت به الابنية العباسية المتبقية في بغداد

قد اصبح مصدر الهام للفنانين في العصور المتعاقبة.

٢-دراسة (الاعظمي) (الزخارف الجدارية في آثار بغداد) رسالة ماجستير منشورة ١٩٨٠م، استهدفت الدراسة الكشف عن جميع الزخارف الجدارية المنفذة على العمائر الباقية من العصر العباسي والمتمثلة على الاغلب بزخارف القصر العباسي والمدرسة المستنصرية والمدرسة المرجانية، إذ مثلت عينة البحث الزخارف الهندسية والنباتية والكتابية المصورة عن الآثار الباقية في القصور والمدارس أو المكتشفة من جراء التنقيبات، ومن نتائج الدراسة: التدرج في تطور الزخارف الهندسية بشكل خاص والنباتية والكتابية والاستعاضة في الزخارف الهندسية عن المضلعات البسيطة بأشكال هندسية تقوم على نجوم ومضلعات معقدة في تركيبها.

٣-دراسة (داود) (الأسس الفنية للزخارف الجدارية في المدرسة المستنصرية) رسالة ماجستير ١٩٨٩م، استهدفت الدراسة التعريف بالأسس المعتمدة في تصميم الزخارف الهندسية والنباتية والخطية فكانت العينة تشتمل على جميع الزخارف المنفذة بالأجر على جدران المدرسة المستنصرية، اعتمد الباحث على منهج الملاحظة في تحليل الوحدات الزخرفية لبيات الاسس الفنية لكل نوع من الزخارف المنفذة في بناية المدرسة من الداخل والخارج، وقد توصلت الدراسة الى: اعتماد جميع النماذج الهندسية في انتشارها وتكرارها على ثلاثة وحدات رئيسية هي المربع والمستطيل المتباين القياسات والمضلع المنتظم وغير المنتظم: وكذلك تميز ثلاثة انواع من التكرار للنماذج الهندسية وهي التكرار بالتجاور والتعاكس والتبادل باتجاه محدد.

مناقشة الدراسات السابقة

من الواضح ان أغلب الدراسات السابقة قد استخدمت نوعين أو طريقتين من طرق البحث العلمي وهما منهج الملاحظة والطريقة الوصفية وذلك يرجع الى ان هذين المنهجين هما الاكثر ملائمة لمثل هكذا دراسات من اجل توضيح الاسس او الطرق او ابراز القيم الفنية للزخارف وصياغتها بشكل يسهل على القارئ فهم المصورات التي تستند عليها البحوث.

على غرار ما تقدم فقد استخدم الباحث طريقة الملاحظة لوصف العينات المستخدمة في هذا البحث.

ما أسفر عنه الاطار النظري والدراسات السابقة

من خلال ما تقدم ذكره في الاطار النظري والدراسات السابقة ظهر:

- ١- الأثر الكبير للزخرفة في اثراء الحركة الفنية الاسلامية عامة والعباسية بشكل خاص وظهور شخصية خاصة للزخارف في العصر العباسي.
- ٢- اعتماد الزخارف الهندسية في انتشارها وتكرارها على المربع والمستطيل المتباين القياسات والمضلع المنتظم وغير المنتظم.
- ٣- ظهور اربعة انظمة في تصميم الزخارف النباتية وهي الحشوات النباتية المبنية على العناصر الكأسية وأنصافها والأوراق الجناحية والحشوات النباتية المبنية على الاغصان وتفرعاتها فقط والحشوات المزوجة والحشوات الغصنية المجردة.
- ٤- استعمال العناصر النباتية المختلفة في الزخارف البغدادية ومن امثلتها العنب بأوراقه وعناقيده وسعف النخيل بأنواعه.
- ٥- الطراز الزخرفي البغدادى الذي يتضح في زخارف الابنية العباسية اصبح مصدر الهام للفنانين في العصور التي اعقت الفترة العباسية.

الفصل الثالث: اجراءات البحث

مجتمع البحث: شمل مجتمع البحث الزخارف الهندسية والنباتية والكتابية كافة في العصر العباسي، إذ قام الباحث بتحديد أهداف بحثه.

وحصل الباحث على مجتمع بحثه من المتابعات المكتبية والشواهد الاثرية الباقية حتى اليوم، ومن مصورات التحف في كتب الاختصاص.

العينة:

بما ان مجتمع البحث الاصلي يتحدد في زخارف العصر العباسي وهي:

١-الزخارف الهندسية.

٢-الزخارف النباتية.

٣-الزخارف الخطية.

السمات الزخرفية في العصر العباسي

فقد اعتمد الباحث أسلوب اختيار العينة القصدية من المجتمع الأصلي، وفي حدود توجه البحث واهدافه صنف الباحث مجتمع بحثه للحصول على عينة ممثلة للمجتمع وهي:

١- الزخارف الهندسية ومنها:

- أ- الزخارف الهندسية ذات الاطباق النجمية أو التطبيقات الحصرية.
- ب- الزخارف الهندسية ذات الحشوات النباتية.

٢- الزخارف النباتية ومنها:

- أ- الزخارف النباتية ذات العناصر الطبيعية.
- ب- الزخارف النباتية ذات العنصر المحورة عن الطبيعة.

٣- الزخارف الخطية وهي:

- أ- الخطوط على الأرضيات النباتية.
- ب- الخطوط على الأرضيات الهندسية.

مصادر جمع المعلومات:

استطاع الباحث ان يجمع معلومات بحثه من:

- ١- الكتب المتخصصة بدراسة الفنون الزخرفية والفنون الاسلامية والاطاريح الجامعية والبحوث المنشورة وغير المنشورة.
- ٢- الشواهد الاثرية الباقية حتى يومنا الحاضر مثل المدرسة المستنصرية والقصر العباسي عن طريق المصورات.

أداة البحث:

استخدم الباحث في أداة بحثه منهج الملاحظة لوصف السمات الشكلية للزخارف في العصر العباسي، وصمم استمارة للتحليل من اجل الكشف عن السمات الزخرفية، ينظر الملحق رقم (١).

صدق الأداة:

للتأكد من ان الاستمارة صالحة لتحليل عينات البحث، عرض الباحث الاستمارة على عدد من الخبراء* لمعرفة مدى صلاحيتها للتطبيق، وبعد مناقشة الخبراء في محتواها ثبتت صلاحيتها للتطبيق بنسبة (٨٥٪)**.

* عرضت الاستمارة على عدد من الخبراء في مجال الاختصاص وهم:
الأستاذ الدكتور عباس جاسم الربيعي، عميد كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل.
الأستاذ الدكتور عبد الرضا بهية داود، تدريسي، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد.
الأستاذ المساعد الدكتورة، صفا لطفي، تدريسية، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل.

** النسبة المئوية لحساب صدق الاداة بحسب معادلة كوبر.

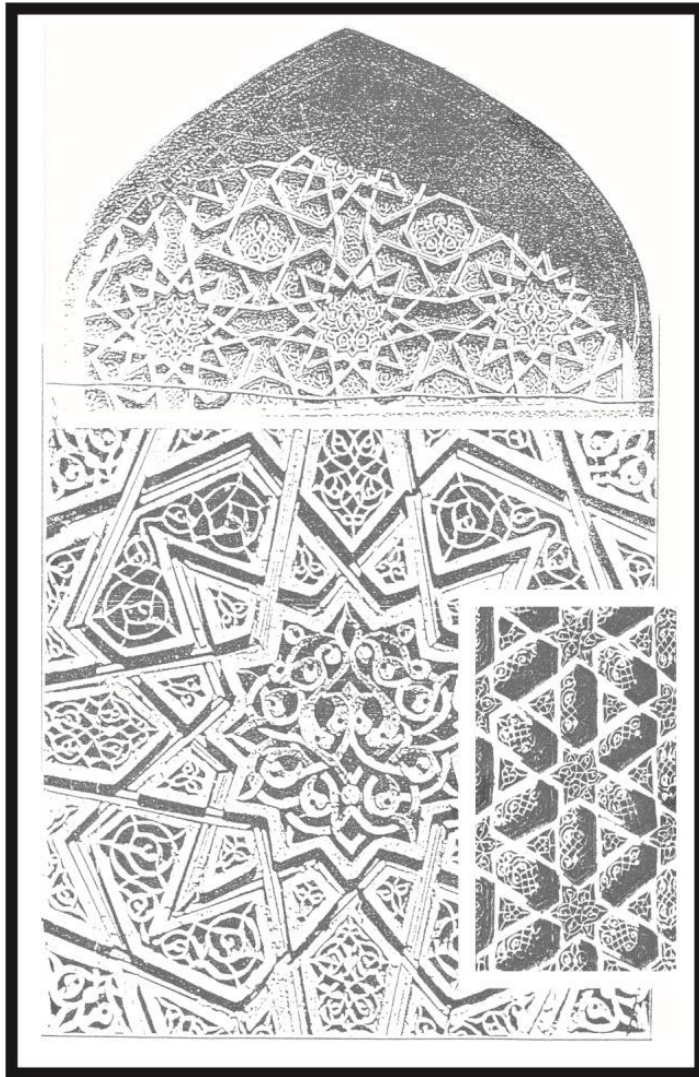
عدد مرات الاتفاق / عدد الخبراء x ١٠٠

تحليل العينات

(نموذج ١)

وتتضح هذه الزخارف في بناية القصر العباسي والمدرسة المستنصرية من خلال استخدامها في تزيين الواجهات للمدرسة المستنصرية، وقوامها وحدات نجمية بتخطيطات هندسية ذات ثمانية رؤوس أو عشرة أو أكثر، وقد زينت هذه الواجهات بتكرار وحدة زخرفية هندسية على كامل المساحة المراد اشغالها بتزيينات زخرفية منتظمة كانت أو غير منتظمة، على سطوح مستوية أو منحنية مثل الأعمدة ذات الأشكال الاسطوانية والسقوف، ومن ناحية أخرى فقد استخدمت هذه الزخارف على شكل أشرطة تحيط بتصاميم زخرفية متعددة الاشكال وفي بعض الاحيان يستعاض عن الزخارف النجمية بتخطيطات هندسية مكونة من تقاطع أو تراكب الخطوط المستقيمة من خلال انكسارها مكونة اشربة هندسية أو زخارف حصيرية والتي هي زخارف هندسية متنوعة تتشكل اما من تجميع وترتيب قطع الأجر المستطيلة أفقياً وعمودياً بما يشبه نسيج الحصر، وأما من ترتيب قطع الأجر المستطيلة بشكل أفقي تتخللها مربعات مشغولة بوحدة زخرفية محفورة تتراصف من جهة زواياها لتشكل التصميم الزخرفي المطلوب، وهذه المربعات اما تكون بارزة عن سطح الجدار واما تكون جميع التفاصيل الزخرفية بمستوى واحد.

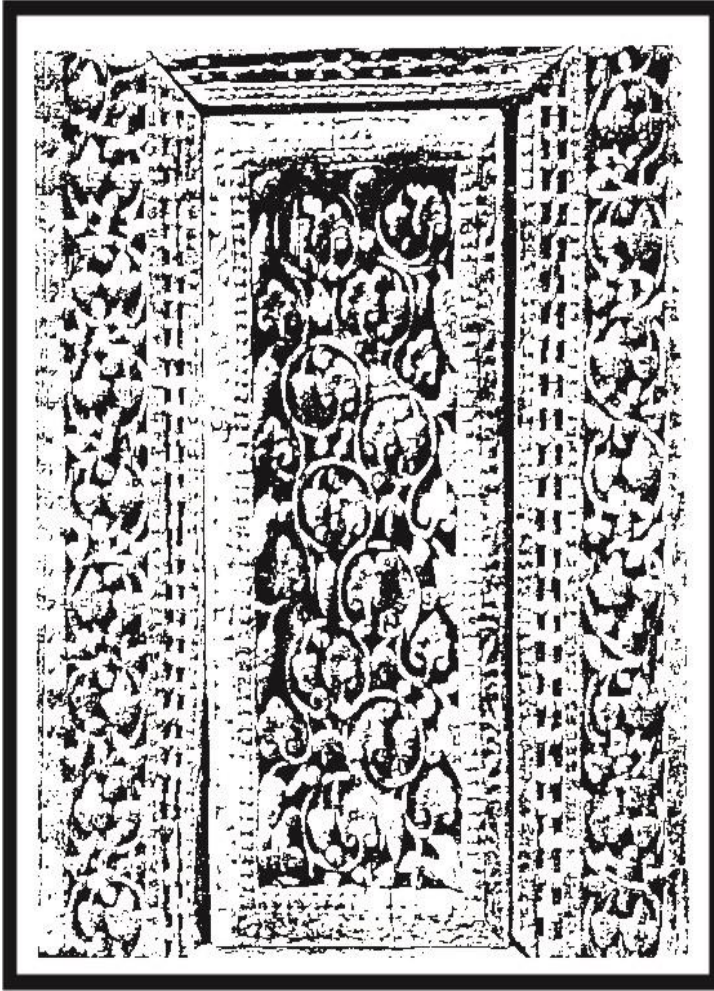
(نموذج ٢)



تتألف هذه الزخارف بنفس الاسلوب سابق الذكر، ولكن تستخدم معها زخارف نباتية لملء الفراغات المكونة من تقاطعات الخطوط وانكسارها (الاشكال المضلعة أو النجوم) ان كانت منتظمة أو غير منتظمة، وقوام الحشوات أغصان نباتية تتفرع منها البراعم أو الاشواك وتنتشر عن طريق استخدامها بشكل حلزوني وفي بعض الاحيان تشكل تفرعاتها امتداد للغصن بشكل حلزوني آخر، وفي

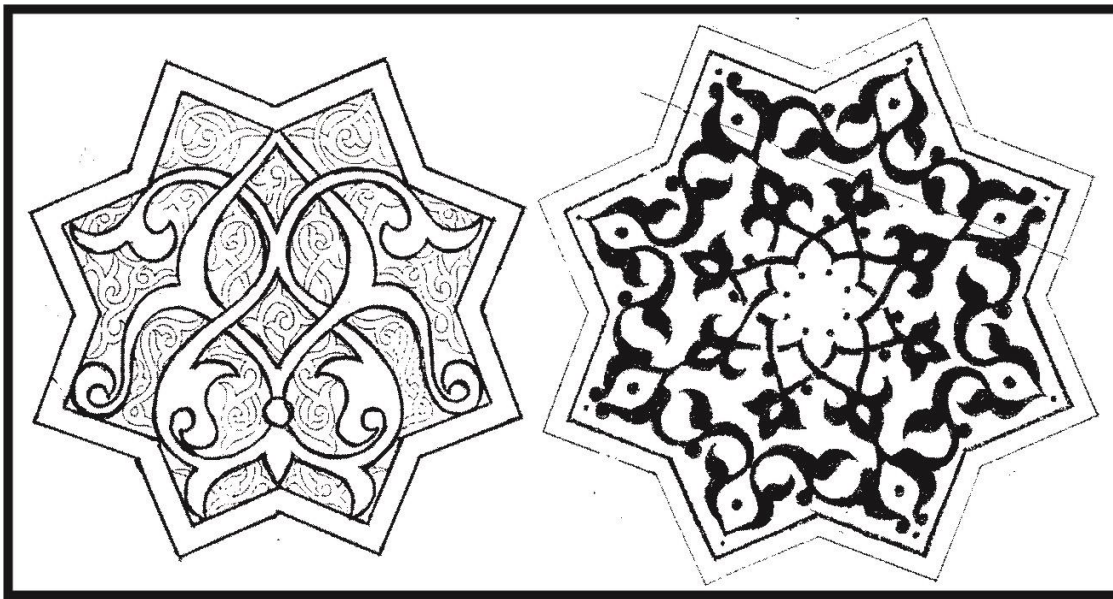
بعض الاشكال الهندسية الكبيرة تستخدم حشوات متناظرة أفقياً أو بشكل شعاعي، وتستخدم في رسم الزخارف الهندسية خطوطاً مزدوجة لزيادة جماليتها وأيضاً لفرز وتمييز الاشكال المضلعة عن بعضها من أجل عدم الخلط بين الحشوات النباتية في المضلعات أو استخدام خطوطاً عريضة في رسمها.

ومن الجدير بالذكر ان هذا النوع قد استخدم اكثر من غيره في الفترة الاخيرة من العصر العباسي كما شاع استخدام هذا النوع في القصر العباسي والمدرسة المستنصرية بشكل كبير.



تتمثل هذه العينة بباب خشبي من تكريت تعود للقرن (٢ هـ) مزخرفة بشكل جميل تظهر الزخارف فيها بارزة على خلفية غائرة توضح استخدام العناصر النباتية الطبيعية في بناء زخرفي رائع، إذ تتكون الحشوة الزخرفية الرئيسة في هذا الباب من أوراق العنب ثلاثية وخماسية الفصوص وعناقيد العنب وكيّزان الصنوبر وتربط هذه العناصر أغصان بشكل شبه حلزوني يتفرع من كل غصن غصن آخر يحتوي على نفس العناصر ويتكرر هذه العملية واستمرار التفرع بشكل محسوب تكون نسيج زخرفي رائع يحيط به إطار مكون من دوائر بشكل فصوص تحيط بالشكل المركزي تشبه المسبحة ثم يليه شريط زخرفي مؤلف

من تفرعات غصنية يأتي بعدها شريط مشبك يحتوي على خطوط مستقيمة أفقية يقطعها خط مستقيم آخر بشكل عمودي ثم بعد ذلك يأتي شريط زخرفي قوامه أغصان شبه حلزونية تحتوي على أوراق عنب ثلاثية وعناقيد وهي بذلك تشبه بشكل كبير الحشوة الداخلية، ومن الجدير أن نذكر بأن هذا النوع من الزخارف قد ظهر بشكل واسع في زخارف طراز سامراء الأول، ومن العناصر الأخرى المستخدمة في هذا الطراز سعف النخيل والزهرات المختلفة.

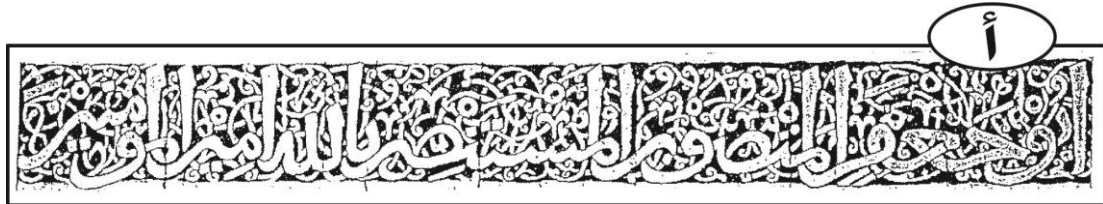


(نموذج ٤) شاع استخدام هذه العناصر منذ ظهور نظام أو طراز سامراء الثاني، إذ أن الزخارف النباتية

قد اتسمت بابتعاد اشكال عناصرها عن الطبيعة (التجريد) فاتخذت طابعاً آخر في أشكال العناصر الزخرفية بحيث لم تظهر حركات الاغصان المتفرعة ذات الاستدارات الحلزونية ولكن انتشرت العناصر الكأسية الثنائية والثلاثية الأوراق الكاملة منها والمقسومة وظهور الأوراق المحورة عن الطبيعة ومنها الأوراق الجناحية والسيفية ، وبانتهاء الطراز الثاني وبداية الطراز الثالث ابتعدت الزخارف عن اشكالها الطبيعية تماماً بحيث ولد نوع جديد من الزخرفة وهو (الارابسك) وهي تسمية اجنبية أطلقها علماء الآثار الغربيين ولكن بعض المؤلفين قد اصطلحوا على تسميتها بمصطلح الرقش العربي أو التوريق العربي، وقد استعمل هذا النوع من الزخرفة في اكساء بواطن المضلعات الناتجة عن الزخارف الهندسية أو في اشغال ارضيات الخطوط التي يراد منها تزيين جانب أو جزء معين من البناء، وقوامه تفرعات غصنية اما بشكل حلزوني أو بتكرار وحدة معينة بشكل متطابق بالتناظر عمودياً أو أفقياً أو حول محور شعاعي بأكثر من اتجاه، وقد استخدمت في بعض الاحيان مفردات كبيرة على خلفيات دقيقة من الزخارف من نفس النوع (كما في نموذجي هذه العينة) لأكساء مضلعات كبيرة للزخارف الهندسية ويظهر ذلك بوضوح في زخارف القصر العباسي والمدرسة المستنصرية.

(نموذج ٥)

يتضح هذا النوع في الزخرفة الخطية التي تزين واجهة مدخل المدرسة المستنصرية كما في



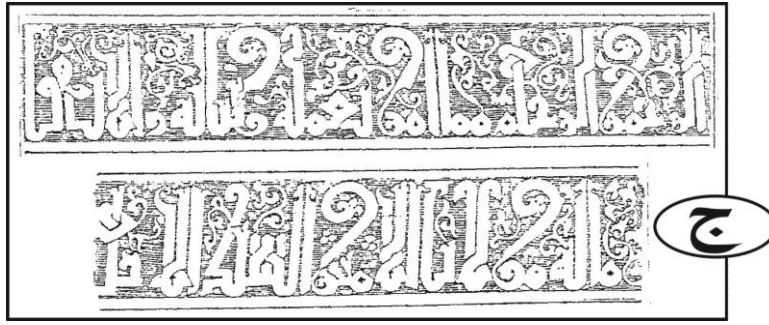
(شكل ٧)، أما في هذه العينة فيتضح من خلال (الشكل/أ) الذي يمثل السطر السابع من الأسطر العشرة في (الشكل ٧)، إذ استخدم فيها خط الثلث على ارضية ذات تفرعات غصنية وهي عبارة عن أغصان منتشرة بشكل حلزوني ومتموج تتفرع منها براعم وأشواك وعنصر كأس الزهرة المحور عن الطبيعة بحيث تظهر هذه الزخارف وكأنها متشابكة مع الحروف في حين ان الكتابة بارزة في المستوى الأول وتأتي بعدها الزخرفة النباتية بالمستوى الثاني الأمر الذي يجعل الناظر يدرك عن طريق احساسه بالضوء والظل الناتج عن الحف وبروز الخط عن الارضية بان الخط فوق مهاد زخرفي قوامه أغصان متموجة، إذ يؤدي الخط بهذه الحالة وظيفتين اساسيتين الاولى هي القيام بواجب اعلامي بالاخبار عن ماهية المكان واسم مؤسسه وسنة انجازه، أما الوظيفة الثانية فتتمثل باعطاء قيمة فنية وجمالية لواجهة المدرسة وذلك من خلال اشتراكه مع الزخارف الهندسية والنباتية بحيث تظهر أغلب العلاقات الزخرفية للأنواع الثلاث في واجهة هذه المدرسة.



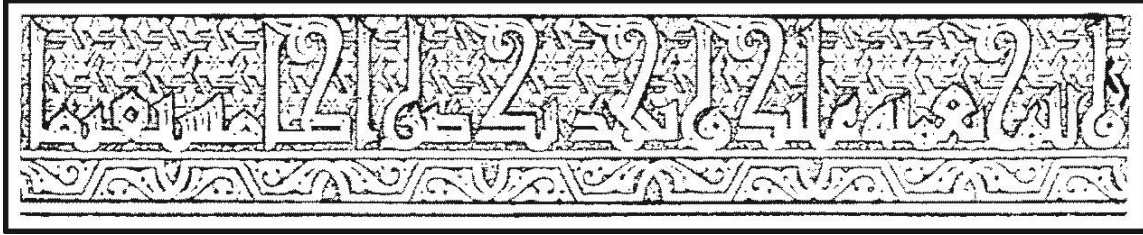
ب

أما
(الشكل/ب) من
هذه العينة فيعود
للقرن الرابع
الهجري، إذ يمثل
دقة في تصميم
الزخارف
وتنوعها من جهة

ومن جهة أخرى فهو يمثل النضوج في صياغة الخطوط وتطورها وتطور الفكر التصميمي لدى الفنان المسلم منذ بواكير الحقبة الاسلامية، وكذلك بالنسبة (للشكل/ج) الذي يمثل كتابة كوفية بديعة من ناحية التطور الشكلي للخط العربي وعلاقاته مع ارضياته التي جمعت في هذا الشكل الزخارف النباتية والهندسية البسيطة لتكون مهاداً متناغماً مع النص الكتابي، إذ يعود هذا للقرن الخامس الهجري، وجدير أن نذكر هنا ان زخارف هذين الشكلين بعيدة عن الطبيعة تماماً وهي تشبه الى حد كبير زخارف التوريق العربي.



(نموذج ٦)



وقوام هذا الشكل كتابة بالخط الكوفي تمثل آية قرآنية نصها (ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً) قائمة على زخارف هندسية مؤلفة من نجومات سداسية تكونها معينات مترافقة ومتصلة من اضلاعها السفلى نحو مركز النجمة وبتاتصال النجمات من رأس كل شكل معيني بالأخرى وتكرارها تكونت ارضية زخرفية جميلة شغلت مساحة الخلفية الخطية كاملة، ويحد الشكل من الاسفل شريط زخرفي متكون من خطوط مستقيمة منكسرة بزوايا منفرجة وحادة تنتهي ببراعم وكأس الزهرة محور وبتراكب وتكرار هذا الشكل الهندسي النباتي يظهر شريط متناسق يحد الزخرفة الخطية من الاسفل، ويرجع تاريخ هذا الشكل الى القرن الخامس الهجري.

وجديرأ ان نذكر ان لتطور الخط الكوفي ونشوء أنواع متعددة منه مثل الخط الكوفي المظفور والمزهر قد دفعت الفنان المسلم الى ابتكارات لانشاءات مختلفة للزخارف الخطية تخدم الجانب الجمالي باخراج جديد.

الفصل الرابع:

النتائج:

من خلال ما تقدم في مسيرة البحث يتضح لنا ان الفنان المسلم قد ابتكر اسلوباً جديداً في معالجة التصاميم الزخرفية وهو المزوجة بين اكثر من نوع من الزخرفة في وحدة متناسقة تعزز الجانب الجمالي وبشكل لا يؤثر على شخصية اي نوع أو يقلل من أهميته بل انه يزيد من قيمة كلا النوعين ويساعد على زيادة جمالية النوع الآخر من خلال التطبيقات العديدة التي ظهرت واضحة في الاستخدامات الزخرفية في الفترة العباسية، وفيما يلي أهم التوصلات بشأن السمات الزخرفية في العصر العباسي من خلال ما ورد في البحث من ايضاحات:

- ١- الاستخدامات المزدوجة للزخارف النباتية التي تظهر تارة في تزيين مساحة خاصة من خلال تفرعاتها أو تكرار بعض الوحدات وتارة اخرى تظهر بشكل ارضية للخطوط أو بشكل حشوات للزخارف الهندسية أو استخدامها بقياس اصغر كأرضية لزخارف نباتية اخرى اكبر منها حجماً.
- ٢- قابلية الزخارف النباتية على الاشغال الفضائي ضمن المكان المراد زخرفته من خلال استخدام الحززون الذي يعد الانسب لملى الفراغات الغير منتظمة الشكل لقابليته على النمو في التقعر والتشعب من خلال حركة الاغصان ولاحتوائه على اكثر من عنصر مثل الاوراق وعنصر كأس الزهرة والاشواك والبراعم وغيرها من العناصر التي تزيد من جمالية هذا النوع الذي تطور بشكل ملحوظ خلال العصر العباسي.
- ٣- ولادة نوع جديد من الزخرفة لم يكن معروفاً من قبل وهو (الرقش العربي) أو (الارابسك) وهو من ابتداء الفنان المسلم خلال عصر سامراء الثالث ومنها انتشر الى بلدان العالم وهو بذلك يعد سمة اساسية من السمات التي اتصفت بها زخارف العصر العباسي.
- ٤- ظهور نوع جديد من الزخرفة وهي الزخارف الخطية التي تعد من ابتكار الفنان المسلم في العصر

- العباسي والذي ظهر جلياً في المدرسة المستنصرية عن طريق استخدامه في واجهة المدخل وايضاً كشريط زخرفي يزين اعلى الجدار الخارجي لنفس المدرسة.
- ٥- انتشار وتطور الزخارف الهندسية التي تعتمد في بنائها على الدائرة واقطارها التي تؤلف تقاطع الاقطار وانكسارها اشكالا جميلة تدل على التطور الكبير الذي طرأ على هذا النوع ونضوجها في الفترة المتأخرة من العصر العباسي.
- ٦- اظهار الدقة الكبيرة في حرفة الفنان المسلم من خلال التعشيقات النباتية الهندسية التي تدل على تفهم تام لأسس التصميم في توزيع الوحدات باتزان رصين.

الاستنتاجات

- من خلال ما تقدم في البحث وفي النتائج توصل الباحث الى استنتاجات تتمثل بـ:
- ١- ان الزخارف بفروعها الثلاثة الهندسية والنباتية والخطية تمثل نسيجاً مترابط يمكنها جميعاً من التأقلم مع اي تصميم فتجتمع لتكون وحدة زخرفية متجانسة تؤدي اغراضاً عدة منها قرائية واعلانية وجمالية.
 - ٢- ان التطبيقات الزخرفية تميزت بالحدثة ما يجعلها تستمر لقرون عديدة وحتى وقتنا الحاضر.
 - ٣- ان التطويرات التي طرأت على الزخارف منذ طرز سامراء لم تكن اعتباطية وانما لتنمية الجانب الابتكاري والتجديد في استخدامات العناصر.

التوصيات

- في ضوء ما تقدم من نتائج البحث واستنتاجاته يوصي الباحث:
- ١- اعتماد النتائج والاستنتاجات كسمات شكلية للزخارف في العصر العباسي لما لها من اهمية في تمييز الزخارف العربية في العصر العباسي عن غيرها.
 - ٢- الافادة من هذا البحث في مجال الاختصاص بالشكل الذي يغني الجانب العلمي والمعرفي.

المقترحات

- ١- اجراء دراسة عن جماليات الزخارف الهندسية وتنوع استخداماتها.
- ٢- اجراء دراسات متخصصة عن الزخارف الخطية لانها تجمع بين نوعي الاختصاص.

المصادر

- القرءان الكريم.
- ٢-الأعظمي، خالد خليل، الزخارف الجدارية في آثار بغداد، رسالة ماجستير منشورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
 - ٣-حمودي، خالد خليل، زخارف الابنية البغدادية في العصر العباسي، مجلة آفاق عربية، العدد الثاني، تشرين اول، ١٩٧٦.
 - ٤-داود، عبد الرضا بهية، الاسس الفنية للزخارف الجدارية في المدرسة المستنصرية، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ١٩٨٩.
 - ٥-ديماند، م.س، الفنون الاسلامية، ترجمة احمد احمد عيسى، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٥٨.
 - ٦-الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٢.
 - ٧-عبد الرسول، سليمة، الاصول الفنية لزخارف العصر العباسي ببغداد، وزارة الثقافة والاعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٨٠.
 - ٨-عيد، كمال، فلسفة الادب والفن، الدار العربية للكتابة، تونس، ١٩٧٨.
 - ٩-فارسي، بشر، سر الزخرفة الاسلامية، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٢.
 - ١٠-كونل، آرنست، الفن الاسلامي، ترجمة أحمد موسى، دار صادر بيروت، ١٩٦٦.
 - ١١-مارسيه، جورج، الفن الاسلامي، ترجمة عفيف بهنسي، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد، دمشق، ١٩٦٨.
 - ١٢-مرزوق، محمد عبد العزيز، العراق مهد الفن الاسلامي، وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧١.
 - ١٣-هادي، بلقيس محسن، تاريخ الفن العربي قبل الاسلام وبعده، كلية الفنون الجميلة، بغداد، مطبعة جامعة الموصل، ٢٠٠٠.

ملحق / ١

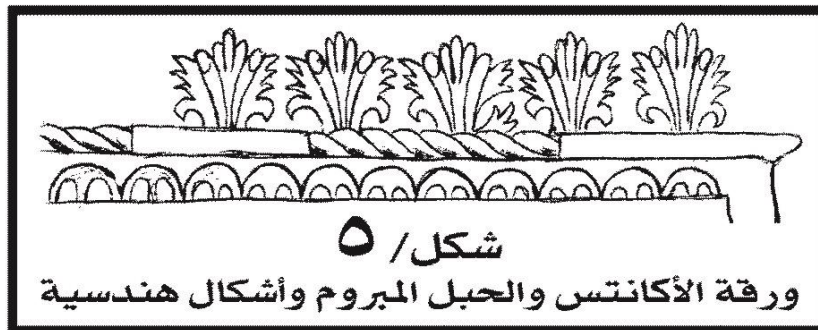
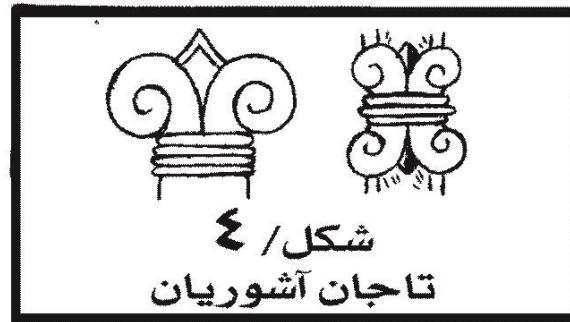
الاستاذ المحترم

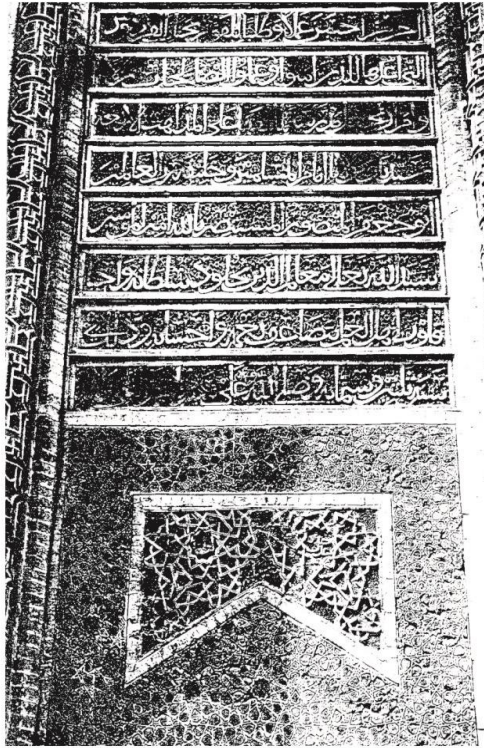
يضع الباحث بين ايديكم استمارة التحليل الخاصة بالبحث الموسوم:
(السمات الزخرفية في العصر العباسي)
الذي يهدف الى الكشف عن السمات الشكلية للزخارف في العصر العباسي
ونظرا لما عهده الباحث فيكم من معرفة علمية فانه يرجو بيان رأيكم حول فقراتها
عن طريق اضافة او تعديل ما ترونه مناسبا بوضع علامة (/) تحت الفقرة التي تحقق اهداف
البحث وعلامة (X) تحت الفقرة التي لاتنسجم مع اهدافه.

وتقبلوا فائق احترامي

نوع الزخرفة			الشكل العام		أسس وعلاقات التصميم الزخرفي		الاداء الوظيفي								
هندسية	نباتية	خطية	ذات ارضيات هندسية	ذات ارضيات نباتية	ذات عناصر طبيعية	ذات عناصر محورة	ذات اطباق نجمية وتطبيقات حميرية	ذات حشوات نباتية				الزخارف الهندسية	الزخارف النباتية	الزخارف الخطية	
											</				

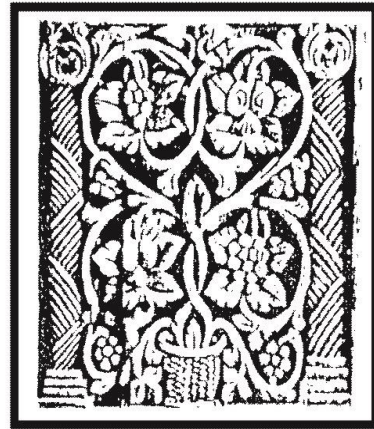
تصلح
لا تصلح
التعديل المقترح



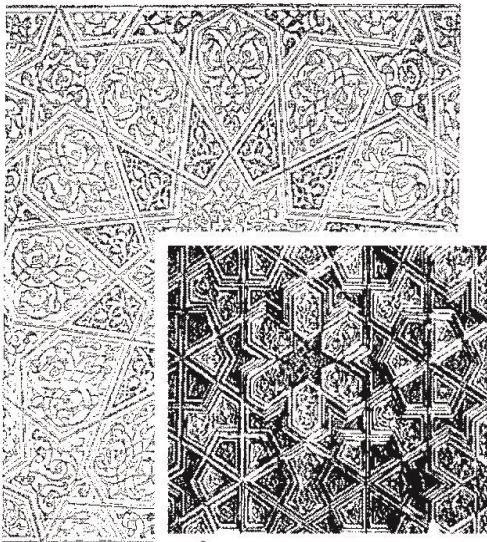


شكل / ٧

واجهة مدخل المدرسة المستنصرية



شكل / ٦



شكل / ٩

زخارف هندسية ذات حشوات نباتية



شكل / ٨

زخارف التوريق (الارابسك)